المرأة العراقية ومواجهة تحديات المرحلة الراهنة
(الحرب والعولمة)

الدكتورة انعام جلال توفيق

جامعة بغداد - كلية الآداب

ملخص الدراسة :

تبقى المرأة تمثل نصف المجتمع الذي يستمر بدوام أنظمته والأنشطة والفعاليات التي يؤديها أعضاؤه . فالمرأة ركن اساسي من الأركان التي يستند إليها النظام الاجتماعي إذ تمارس أدوارا اجتماعية ووظيفية متعددة الأبعاد والأهداف . لم يبق الاتجاه التقليدي للمرأة سائدا بأنها كائن بايولوجي تنحصر وظيفتها في الزواج والانجاب والرعاية الزوجية والامومية . هذه النظرة التي حددت مكانة المرأة ودورها الفعال في المجتمع قد تحررت منها ، الا انها بقيت برعاية الرجل الزوج والأب والأخ والابن ، وبقي مجال عملها محصورا في الاسرة والمهن القريبة الى دورها الاموي كالتدريس والتمريض . ومع تطور المجتمع ومتغيراته وتحدياته وفلسفته الأيديولوجية تحولت النظرة الى المرأة من السيطرة التي تفرضها تقليدية النظرة الاجتماعية الى التحرر مع الالتزام بضوابط المجتمع والحفاظ عليه . فتأكدت قيمتها الانسانية ودورها في الحياة الاجتماعية واسهاماتها في المجالات الاقتصادية والتنموية والسياسية ، ومواجهتها للتحديات التي يتعرض لها المجتمع .

ان الدراسة المتكاملة لهذا الموضوع تنحصر في توضيح تحديات المرحلة الراهنة التي يعيشها المجتمع العراقي والمرأة بشكل خاص ، صورة هذه التحديات تنعكس في مجالين هما :

(١) تحديات العدوان والحصار المفروض على قطرنا العراقي .

(٢) تحديات العولمة ومواجهة مخاطرها السلبية .

ان الهدف من دراسة صورتي التحديات يكون في التوثيق التأريخي لدور المرأة العراقية في الاستجابة لأخطر أشكال التحديات على واقع الحياة ، الى جانب الكشف عن خطورة امتداد العداء بأشكاله الظاهرة والخفية . كذلك توضيح ما للمرأة من أدوار جهادية ونضالية على الصعيدين الداخلي في حياتها الاسرية والزوجية والتربوية ، والصعيد الخارجي في مشاركتها الفعلية لمواجهة قضايا المجتمع طوال مدة تحديات الحرب والحصار المفروض الذي دخل عامه الحادي عشر ، والدور المستجد الوقائي والارشادي والتربوي للمرأة في مواجهة نظام العولمة بمنظوره السياسي والثقافي والاجتماعي .

تهتم دراستنا بتوضيح الجوانب التي تجتمع حولها أشكال التحديات ، ومنها بشكل خاص (الحرب والعولمة) التي يمكن حصرها في الجوانب الآتية:

(١) ان الحرب والعولمة يجمعهما العداء للتراث الحضاري الاسلامي للامة العربية ، ويهدفان الى تشويه الثقافة والقيم العربية الأصيلة ، وذلك بدخول الثقافة الأجنبية ، وهيمنة التأثيرات الفكرية والقيمية بهدف احداث التطورات والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية والتقدم العلمي والتكنولوجي والتطور الاجتماعي . فالعولمة تحمل شكل من اشكال التقدم العلمي والاقتصادي ، الا ان الوجه الآخر لها يمثل سلسلة من المحاولات المستمرة للسيطرة او التحدي الاستعماري على المجتمع العربي . أما الحرب فهي تفسر جانب المواجهة العسكرية التي تستهدف ما تصل اليه المجتمعات العربية من تطور وتنمية بمفهومها الشامل . ذلك ان التقدم الصناعي والعسكري والتواصل الحضاري يمثل قوة أمام المخططات الاستعمارية . ومع تناقض صور والأوجه الظاهرة والخفية لكل من الحرب والعولمة الا ان الهدف العدائي يوحدهما .

(٢) ان هدف الحرب والعولمة إدخال مفاهيم جديدة واحداث تغيرات في المفاهيم العربية الأصيلة . فالشق الذي يحصل بين اصالة المفاهيم وحداثتها التي لا تتلاءم وسلوكيات المجتمع المحافظ هو هدف استعماري ومخطط عدائي ليؤثر سلبا في عمليات تربية الأبناء وتنشئتهم، وقد استهدفت العولمة الفئات الشبابية بشكل خاص ، لتؤثر في قيمهم وسلوكهم من خلال الوسائل الإعلامية والقنوات التلفزيونية وشبكات الانترنيت والصحف والمجلات محاولة في ذلك إشاعة الثقافة والقيم الغربية على واقع المجتمع العربي .

(٣) ان كلا من الحرب والعولمة لها العمق التأثيري في الجوانب الفكرية والعقائدية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية . وهنا يبرز دور المرأة العراقية ، الدور الكبير في مواجهة تلك التأثيرات لحماية بنائها الأسري ودورها الوظيفي تجاه المجتمع ، وتحصين أبنائها من مخاطر هذه التأثيرات التي غالبا ما تكون سلبية . وقد جسدت المرأة العراقية دورها التأريخي طوال مدة الحرب العدوانية ، حيث استمر عطاؤها ومواصلة نضالها وجهادها في الوقوف ضد المخاطر البنوية والوظيفية. فالعولمة بمفاهيمها الحديثة تنوي التأثير في الأدوار التربوية والاجتماعية التي تؤديها المرأة ، لأن هذه الادوار لها صداها الواضح عند الأبناء في مواجهة التحديات الراهنة .

(٤) ان لكل تحدٍ استجابة ، وان استجابة المرأة العراقية لتحديات العدوان والحصار والعولمة تتحدد في الأهداف العامة المرتبطة بحياة المجتمع ، والأهداف الخاصة المرتبطة بأوضاع المرأة . فتعايش المرأة مع حقيقة الأهداف العامة والخاصة ومواجهتها لمخاطر المخطط الاستعماري بكل ابعاده يؤكد دورها في التحدي " الذي يفسر على اساس الصمود والوقوف أمام المخاطر " و" التحدي هنا يأخذ معنى المواجهة الفعلية

للعدوان " . أما الاستجابة فقد ارتبطت بأدوار المرأة واتخذت اشكال متعددة ، فكانت بكل أشكالها استجابة ايجابية ، فهي المناضلة والام والزوجة والمدبرة والمضحية والعاملة والموظفة ، وغيرها من الأدوار التي كان لكل دور اجتماعي تؤديه يحمل معاني التحدي والاستجابة الفعلية للتحدي .

(٥) يستجد في حياة المرأة العراقية بشكل خاص دورا خطيرا الا وهو التصدي لمخاطر وسلبيات العولمة التي تستهدف المرأة لأن وظيفتها التربوية والقيمية والدينية والاجتماعية تمثل شكلا من اشكال المقاومة العربية ضد المخططات الاستعمارية . فوسائل العولمة تبث سلوكيات الثقافة المرفوضة في المجتمع العربي والعراقي . فتقف المرأة أمام دورها الطبيعي في الحياة ودورها الاضافي الذي يستجد مع وجود التحديات وحركة المجتمع .

(٦) ان المجتمع العراقي يمثل جزء مهما من المجتمع العربي يشترك معه في جوانب تراثية وتأريخية وثقافية يجمعهما التراث العربي الاسلامي (دين ولغة الاسلام والقيم العربية) وتأريخ عربي يؤكد حقيقة الانتماء الوطني والقومي . فالمواقف النضالية والبطولية في صد المخططات الأمريكية تُمثل مواقف موحدة ليحافظ المجتمع العربي على خصوصيته.

ان الحرب والعولمة تشير الى معاناة يسجل التأريخ العربي أوزارها وسلبياتها ، وان ما بها من ايجابيات فهي محصورة بتحقيق الهدف الاستعماري بجعل الدول العربية تتطلع نحو التطور الحضاري المعاصر والتقدم العلمي والتكنولوجي الذي من خلاله يؤثر في العالم بشكل عام .

فاختلاف أنظمة العولمة وأهدافها مع واقع المجتمع العربي الذي تنظمه العادات والضوابط والتقاليد والقيم والمثل العربية الاصيلة يخلق معاناة ومشكلات

اجتماعية وتربوية وبروز ظواهر سلبية وما يترتب عليها من آثار تنعكس على كل ضوابط المجتمع .

ان الهدف الثقافي للعولمة يكون في طمس معالم الشخصية العربية وتخريب النفس البشرية وإضعاف الضوابط البشرية .

ان تحديد تحديات المرحلة الراهنة التي أحدثت آثارا واضحة في مفاصل الحياة كافة ، وما يطرأ من تحديات جديدة على الساحة العربية تشكل خطورة تدخل في عمق تكوين وبناء الانسان فيتأثر بها . فالى جانب التقدم التي تحدثه التطورات التكنولوجية والتقدم العلمي والاقتصادي فان الجانب السلبي لهذه التطورات يحمل التخريب والدمار والفساد . فالحرب بأساليبها المتطورة والمتقدمة وبتقنياتها العسكرية الحديثة فان أغراضها العدوانية تدميرية ومواجهة عسكرية ضد معالم الحضارة والثقافة والإنسان العربي . والوجه الآخر للمخطط العدائي يحمله تيار العولمة في بث ثقافة الغرب في واقع المجتمع العربي والتأثير في الانسان في مسايرة هذه الثقافة التي تبعده بشكل أو بآخر عن ثقافته الاجتماعية والحضارية التي يكتسبها من المجتمع الذي ولد فيه . وهنا يأتي التحدي والمواجهة للحد من خطورة ما يحمله هذا التيار بعدّه شكلاً من اشكال الهيمنة والسيطرة على مقومات المجتمع العربي (الإنسان ، والثقافة ، والقيم ، واللغة والدين) . فالعولمة هي هيمنة أمريكية على مظاهر الحياة بكل جوانبها وهذه المقومات هي الوجه المباشر أمام المخطط الأمريكي في التأثير في الانسان ومفاهيمه الحياتية وقيمه ولغته واتجاهاته الدينية واساليب تعامله الاجتماعي والتخاطب مع الآخرين ، وفي تربية الأبناء والقائمين عليها . ان العولمة وصفت كالموضة على كل لسان ، فتأثيرها واضحٌ في الحفلات والأذواق والملابس والمأكل والألعاب والأغاني والفكر وأمركة في العلوم وأساليبها ولغاتها وفي مظاهر الحياة[١] . فالهيمنة على هذه المظاهر الحيوية والأساسية في الحضارة

الإنسانية تبعدها العولمة عن جذورها الصحيحة وأُسس بنائهـا وتقويمهـا بعـدّ المظاهر صور تكشف عن حقيقة الحضارة الإنسانية بين المجتمعات .

ان الاهتمام بدراسة المجتمع دراسة علمية واقعية وتشخيص متغيراته والتحديات التي تواجهه وتهدد أركان بنائه والتخطيط لعلاج مشكلاته تؤكد صـلة ما يؤيده علم الاجتماع من وظائف في الحياة وعلاقتها بالإنسـان والمجتمـع . فالإنسان ليس منعزلا عن تحديات المجتمع ومخاطر هذه التحديات وآثارها التـي تدخل في عمق البناء الإنساني .

لذا فان دراسة الجوانب التي تتصل بنشاط الإنسان من حيث كونه كائناً اجتماعياً ينتمي الى مجتمع يتأثر بمتغيراته ، دراسة علمية تعتمد على المـنهج العلمي ، وما يقتضيه هذا المنهج من أُسس وقواعد وأساليب في البحث . هـذه المهمة يتخصص بها العلم الاجتماعي عن العلوم الانسانية والطبيعية لانه يبحث بما هو اجتماعي وما هو عام وما هو ضروري ، وما هو مفـرد [٢] . فالاطـار العلمي الذي يجمع بين دراسة الواقع وتشخيصه وتفسيره وبين تـأثيرات هـذا الواقع الاجتماعي على الكائن البشري هو علم الاجتماع الذي توجهـه القواعـد النظرية والمنهجية لدراسة المجتمع دراسة علمية وتطبيقية .

ان أهمية دراستنا تنطلق من أهمية العلم الاجتماعي والحاجة الدائمة له. لذا ضمت دراسة المرأة العراقية ومواجهة تحديات المرحلة الراهنـة (الحـرب والعولمة) أربعة مباحث أساسية ، اهتم المبحث الأول بالتحديد العلمي لمفـاهيم " الحرب والعولمة " بانها الحرب التي لم تعد قاصرة علـى الجـيش ، وانمـا تمـس أفراد المجتمع بشكل عام وشاملة لكل جوانب النشاط الانساني وتدخل في كل أنشطة المجتمـع الاقتصـادية منهـا والسياسـية والاجتماعيـة والثقافيـة والعسكرية.

ان الحرب العدوانية لها أسبابها العميقة التي لا تخرج عن كونها أسـبابا اجتماعية ، فهي ترصد كل فرد ، وتؤثر في كل بيت وأسرة فتعد مشكلة وظاهرة

في الوقت ذاته لما لها من آثار سلبية تتمثل بالخسائر المادية والبشرية وتعد سببا لظهور الانحرافات السلوكية .

ومع استمرار الحرب العدوانية كان فرض الحصار على العراق (فالحصار) يمثل عملاً سياسياً مخططاً له تقوم به الدولة المعادية بقصد السيطرة والتحكم وفرض العقوبات والمقاطعة الاقتصادية والثقافية والصحية والتنموية والاجتماعية . وقد يصعب وصف خطورة الأبعاد العدائية التي يحملها الحصار كهدف من أهداف الحرب على شعب العراق وعلى جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية ، وأكثر هذه الجوانب تأثرا بقرارات فرض الحصار هو البناء الاجتماعي والهيمنة لإضعاف الحياة البشرية . فالحرب والحصار وجهان لعملة أجنبية أمريكية تريد أن تستهوي أبناء الشعب ووحدتهم وتريد أن تضعف من الدور الاجتماعي في مواجهة مخلفات المخاطر على البناء والأمن المجتمعي.

وهنا يجب توضيح معنى (التحديات) امتدادا وتواصلا مع مفاهيم الحرب العدوانية والحصار الذي يرتبط بهما مفهوم التحديات . ان التحديات التي نعني بها في بحثنا هذا تحمل معنيين ، معنى وجود العداء وما يحمله من ضغوط وقرارات بهدف السيطرة والتسلط ، والمعنى الآخر يعني الاستجابة والمقاومة والتصدي لمواجهة التحديات العدائية وما بين المعنيين يقترن مفهوم الاستجابة باتها القوة التي تتمكن من مواجهة ضغوط التحدي .

أما مفهوم (العولمة) باتها حركة سياسية أمريكية تهدف الى تثقيف العالم أجمع بثقافة الغرب بقصد إحداث التغيرات الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والقيمية في العالم العربي ، لا من أجل مصلحته ، وإنما من اجل فرض السيطرة والهيمنة الأمريكية على مفاصل حياته ، والتأثير سلبا في الانسان لانه أداة التغيير وفي الوقت ذاته يمثل السلاح الفعّال أمام المخططات الأمريكية .

ان سياسة العولمة تؤثر وتهدف الى تشويه المعالم العربية والحضارة الانسانية وترصد الشباب والنساء والطفولة ، فتثبت سياستها من خلال انظمتها وقنواتها الفكرية لتحقيق نواياها العدوانية في النفس البشرية .

أما المبحث الثاني من الدراسة ، فانه يهتم بدراسة واقع ومشكلات المرأة العراقية في ظل مخلفات العدوان الثلاثيني والحصار الاقتصادي .

هذا المبحث ركّز بشكل رئيس على العدوان الثلاثيني والحصار الاقتصادي وما تعرضت له المرأة العراقية بعدّها جزءً مهما في المجتمع العراقي الى العديد من المشكلات والتحديات كما تعرض لها المجتمع ، ذلك ان المرأة تمثل مرآة المجتمع تجسد ما يعانيه من تحديات وتغيرات اقتصادية واجتماعية وثقافية . لقد أدت المرأة العراقية دورها الفاعل في رد العدوان ومواجهة الحصار مواجهة فاعلة كانت السبب في صمود العراق وتحديه لمخلفات العدوان والحصار . علما ان ما واجهته المرأة العراقية من مشكلات وتناقضات نتيجة للعدوان الثلاثيني والحصار الاقتصادي كان امتدادا لما قامت به المرأة العراقية من مهام تعبوية ونضالية واجتماعية في قادسية صدام . وفي هذه المرحلة الراهنة تبرهن المرأة العراقية انها قادرة على مواجهة الأخطار والصعوبات ، وتطويق آثارهما السلبية والهدامة .

وأكد المبحث الثاني من الدراسة على واقع المشكلات التي تعاني منها المرأة العراقية كمخلفات لحالة الحرب والحصار ، ولعل من أهم هذه المشكلات الاقتصادية والتربوية والتعليمية والمشكلات الاجتماعية والمشكلات النفسية والصحية . وقد تمّ دراسة هذه المشكلات ومعرفة اسبابها وتحليلها علميا ومعالجتها معالجة اجرائية ، ذلك ان هذه المشكلات أثرت على مهام ووظائف المرأة العراقية في الاسرة والمجتمع .

أما المبحث الثالث من الدراسة فقد اهتم بالتعريف عن دور المرأة العراقية في مواجهة وتحدي ثقافة العولمة . أكد المبحث ثقافة العولمة كونها

تعبيراً عن تحديات المرحلة الراهنة ، ودور المرأة العراقية في مواجهتها . وقد تمَّ التركيز في هذا المبحث على قنوات حركة العولمة منها تكنولوجيا المعلومات أو شبكة المعلومات (الانترنيت) وبرامج البث الفضائي ، للبحث عن مؤثراتها السلبية في حياة المجتمع والاسرة والمرأة ، ودور المرأة في مواجهتها .

ان تأكيد المؤثرات السلبية لهذه القنوات الفكرية الثقافية ذلك انها تتحاور مع عقل وفكر ومشاعر وعواطف وأحاسيس مختلف الفئات العمرية، والأكثر تأثرا فئة الشباب بل الأدنى منهم عمرا . فهنا يبرز دور الاسرة عموماً في مواجهة التحديات (الغزو الثقافي) والمرأة بشكل خاص لأن الحتمية الطبيعية لواجبات ووظائف المرأة في حياة الأبناء مستمرة مع مراحلهم العمرية ومتغيرات المجتمع ، وتتجدد الأدوار الوظيفية مع ضرورة ما تفرضه التحديات من مؤثرات سلبية تتركها في حياتهم . فبرامج البث الفضائي والانترنيت فيها التنوع الواسع لعالمية هذه البرامج ومجالاتها المختلفة وبشكل خاص ما تهدف اليه من تجديد في تشكيل أنماط ثقافية وقيمية وسلوكية تتفق مع أهداف ثقافة العولمة . وناقش هذا المبحث تناقضات الثقافة التي تبثها العولمة من خلال أنظمتها وقنواتها مع ما تحمله الثقافة العربية من اصالة وقيم وثوابت في الضوابط الاجتماعية ، وهنا يكون التحدي الذي نقصد به المواجهة ، والمواجهة من أجل تحدي مخاطر الثقافة الأجنبية .

أما المبحث الرابع من الدراسة فانه يمثل محاولة علمية لمعالجة الآثار السلبية لثقافة العولمة ، ووضع التوصيات لحل مشكلات العدوان والحصار الذي لا زال مفروضا على قطرنا العراقي المجاهد .

المبحث الأول

التحديد العلمي لمفاهيم الدراسة

من أولى الخطوات العلمية في الدراسات الاجتماعية التعريف بالمفاهيم والمصطلحات التي تضمنها موضوع الدراسة . فالمفاهيم تعبر عن فكر الباحث وهويته العلمية والهدف من دراسته . وقد يصعب توضيح المفاهيم في العلوم الاجتماعية وذلك لارتباط هذا العلم بالحياة الانسانية ونشوء المجتمعات وتطورها، وما تتعرض له من تغيرات وتحديات . فالمفاهيم تستمد دلالاتها من واقع الحياة الاجتماعية . وعليه يكون تحديد مفاهيم دراستنا بالتعريف بالحرب العدوانية والعولمة والتحديات . ولا تحتاج المرأة العراقية الى تعريف خاص لأن فصول الدراسة قد أغنته تعريفا بمكان ودور ووظائف المرأة العراقية ومواجهتها للتحديات الراهنة .

يمكننا توضيح دلالات المفاهيم على الشكل الآتي :

(١) الحرب العدوانية :

واجه العراق حربين عدوانيتين هما العدوان الايراني والعدوان الثلاثيني التي انحصرت بين ١٩٨٠ – ١٩٩١ ، وما تبعهما من حصار اقتصادي وشامل مازال قائما ومفروضا على قطرنا المجاهد . هذه المدة الزمنية تشير الى دلالات واضحة عن المخططات العدوانية لشن الحرب التي استخدموا فيها أحدث الأسلحة والتقنيات العسكرية ، وتفوقوا عددا وعدة . الا ان الحرب العراقية الايرانية التي خاض غمارها أبناء المجتمع العراقي كافة ، تعد حربا دفاعية عادلة من جهة العراق لصد الهجمات التوسعية للعدوان الايراني . وقد حقق العراقيون في حربهم العادلة مع العدوان الإيراني تفوقا عسكريا وسياسيا واجتماعيا أثبت للعالم أجمع قدرة وقوة واقتدار العراقيين في مواجهة التحديات والأطماع الإيرانية .

أما المخططات العدوانية التي أجمعت عليها ثلاثين دولة كانت حربا عدوانية سعت الى تدمير التطور الصناعي والعسكري والتنموي الذي وصل اليه العراق . وقد واجه العراقيون هذه المخططات العدوانية وكشفت أم المعارك أخطر تحدي عسكري مبطن بعدائه الاجتماعي الذي استهدف أنظمة المجتمع وأمنه واستقراره .

ان الهدف الأساسي لجميع المخططات العدوانية في الحرب على العراق ، هو محاولة التخريب البنيوي والوظيفي والنفسي . الا ان صمود ومواجهة العراقيين لهذه الأهداف تمكنوا من التحدي بمعنى المقاومة .

(٣) العولمة : Globalization

ليس هناك تفسير موحد لمفهوم العولمة ، وذلك لتعقد أهدافها وارتباطها بالمخططات الأمريكية والسوق الأقتصادية والثورة الثقافية والتكنولوجية . ولا بد من رؤية عامة تجمع المتغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية لتحديد معنى العولمة .

سوف نشير الى معنى العولمة بما له من علاقة بموضوع الدراسة ، العولمة مصطلح له بعده المستقبلي الذي يرتبط بأصل نشوئه .

تُعرف العولمة من زاوية ارتباطها بالثقافة ، فقد اشار الدكتور محمد عابد الجابري[٣] الى تعريف شمولي لها بانها " نظام أونسق ذو ابعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد . العولمة نظام عالمي ، أو يُراد لها أن تكون كذلك ، يشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصالات ، كما يشمل مجال السياسة والفكر والأيديولوجيا " .

ويشير الجابري حول ثقافة الاختراق وأوهام التطبيع الى ان " التطبيع مع الهيمنة والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري الذي يُشكل الهدف الأول والأخير للعولمة . والعولمة ليست آلية من آليات التطور الرأسمالي بل هي وبالدرجة الاولى ايديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم " .

وفي إطار علاقة العولمة بالثقافة ، فان لكل مجتمع ثقافة لا يمكن أن يتجاوزها لأنها الهوية التي تشخص وتحدد معالم حضارته وتأريخه وقيمه وعاداته ولغته ودينه وطبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية السائدة في هذا المجتمع ، التي تختلف بشكل أو بآخر عن واقع مجتمعات اخرى . فالعولمة عندما تريد أن تهيمن وتسيطر على مجتمعات أُخرى تستخدم الثقافة أداة لتنفيذ مخططاتها العدائية .

ان العولمة بمفهومها الظاهر تعني التأثير والتأثر بكل الأحداث والقضايا ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي تحدث في أي جزء من الكرة الأرضية السبيل الى ذلك التكنولوجيا المتطورة ووسائل الاتصال الحديثة والتدفق المعلوماتي والمعرفي مما جعل الفرد يحطم حدود الزمان والمكان . أما تحليلها بصورة عميقة فهي تدل على انها ظاهرة قديمة جدا تعود جذورها الى بداية الامبريالية منذ أكثر من خمسة قرون ، ذراعها قوة الاقتصاد والمال ، ووسائلها التكنولوجيا المتطورة ووسائل الاتصال واسلوبها حقوق الانسان وحرية الفرد ، وهدفها نشر ثقافة الاستهلاك وتحطيم القيم بفرض امتصاص خيرات وثروات الشعوب وجعل العالم النامي والمجتمع العربي سوقا استهلاكية لما تنتجه دول المركز من صناعات غير انتاجية ، وثقافات سطحية مُغرضة ، وأسلحة تدمير وكل ما من شأنه أن يُبقي الوضع على ما هو عليه إذا لم يزده سوءً " (٤) .

ان الربط بين مفاهيم العولمة والثقافة وعدّ العولمة اسلوب للتسلط وفرض الهيمنة الأمريكية بسبب قوتها العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية ، فالتأثير بالجانب الانساني والقيمي والأخلاقي هو هدفها في وضع المخطط الاستعماري الأمريكي في نشر ثقافتها من خلال أنظمتها وقنواتها الى العالم أجمع .

(٣) التحـــدي :

يأخذ معنيين . المعنى الأول يمثل " التحدي بمعنى اسلوب العداء وما يحمله من ضغوط وقرارات بهدف السيطرة والهيمنة والتسلط " . والمعنى الآخر اسلوب المواجهة والمقاومة والتصدي .

فسلسلة التحديات العدائية التي واجهها تأريخ المجتمع العربي والعراقي بشكل خاص يحمل المعنيين وما بين المعنيين . تكون الاستجابة لمقاومة اسلوب العداء والاستجابة الفعلية لمواجهة المخططات التي تهدف الى الهيمنة .

لذا فان التحديات "مجموعة من الممارسات والضغوط الظاهرة والباطنة من قبل امة أو مجتمع متطور ضد امة أو مجتمع أقـل تطـورا بهـدف اخضـاعه والهيمنة الفكرية عليه ، بقصد استلابه هويته الفكرية والحضارية ، والوصـول به الى حالة يجد فيها نفسه منقادا وتابعا لحضارة أو ثقافة الامـة الأقـوى وإن اختلفنا في العقيدة والتأريخ والسلوك" (٥) .

ان هذا التعريف يشير الى الهدف الأمريكي في هيمنة الثقافة الغربية من خلال أنظمة العولمة .

والتعريف الآخر يشير الى التزام أمة أو مجتمع بمجموعة من النضالات والاجراءات ضد ظروف طارئة أو غريبة أوجدتها أمة اخرى أو مجتمع آخـر ، يقوم بينهما صراع معين . هذا التعريف يحدد معنى المقاومة والتصدي .

المبحث الثاني

واقع مشكلات المرأة العراقية

في ظل مخلفات العدوان الثلاثيني والحصار الاقتصادي

ان البحث عن واقع المرأة العراقية في مواجهة تحديات المرحلة الراهنة. ويقصد بهذه المرحلة في هذا المبحث العدوان الثلاثيني على العراق وما تبعه من فرض الحصار الاقتصادي ، وما نتج من ذلك من وجود مشكلات ومعاناة أثرت على وظائف ومهام المرأة العراقية في المجتمع والاسرة وتجاه نفسها .

ان الاسرة العراقية عموما واجهت تحديات اجتماعية وثقافية وتربوية واقتصادية وصحية ، كان لها انعكاسات نفسية أثرت بشكل أو بآخر على دور كل فرد من افرادها ، وكانت المرأة الركن الأساسي في الاسرة واجهتها مشكلات خلقتها لها حالة الحرب والحصار . فان مرحلة الحصار تعبر عن خطورة التحديات الاجتماعية التي ترتبط بشكل واضح بأهداف الحرب العدوانية بمعناها الاجتماعي ضد العراق الذي يمثل أخطر شكل من اشكال العدوان الذي يواجهه بما يحمله من أهداف ونوايا تدميرية تسعى الى تحقيقها التحديات وذلك من خلال زاويتين هما :

(١) علاقة الانسان بذاته .

(٢) علاقة الانسان بمجتمعه .

فالتأثير بين هاتين الزاويتين يعني تحطيم القوى التي يرتكز عليها المجتمع ، مما يؤدي الى إحداث تبدلات في الاتجاهات والمواقف الذاتية والمجتمعية . فالمرأة العراقية تؤدي مهام ووظائف متعددة تجاه نفسها واسرتها ومجتمعها . فمرحلة العدوان الثلاثيني أحدث مشكلات انعكست آثارها على ما

تؤديه المرأة ، بل وعانت من وجود صعوبات حياتيـــة ومعوقـــات ذاتيـــة لاداء مهامها الوظيفية والاجتماعية .

ومن أجل التعرف على مؤشرات التحديات الاجتماعية وربطهـــا بواقـــع مشكلات المرأة العراقية في ظل مخلفات العدوان الثلاثيني (المنازلة الكبـــرى أم المعارك) والحصار الاقتصادي الجائر الذي يمثل اســـلوب للتحـــدي الامريكـــي الأطلسي على العراق ، كان اسلوب التحدي موجها لإثارة المشكلات التي تخـــل ببناء ووظائف الاسرة ، وبالقيم الاجتماعية والثقافة العربية ، وتحـــدي للوحـــدة الأسرية والتماسك الاجتماعي . هذه التحديات تمثل دوافع حقيقية لظهور معانـــاة المرأة . فواقع المشكلات التي واجهتها المرأة العراقية فـــي مرحلـــة العـــدوان الثلاثيني تمثلت بالمشكلات الاقتصادية والتي هي نتاج للحصار المفروض علـــى قطرنا وما ترتب على وجود هذه المشكلة مشكلات اجتماعية ونفســـية ، وعنـــد تفاعل هذه المشكلات وتعاظمها يبرز تأثيرها السلبي في وجود معاناة تعبر عـــن نفسها في عدة مجالات منها :

(١) يكون الاخفاق في المسؤوليات والمهام الاجتماعية .

(٢) التأثيرات الضارة في النواحي الصحية والتربوية .

(٣) عدم القدرة على توفير مستلزمات وضرورات الحياة السياســـية وإشـــباع الرغبات والدوافع الذاتية والاجتماعية .

(٤) فشل الأفراد في مواصلة دراستهم أو طموحاتهم المستقبلية أو قدرتهم على التكيف مع متغيرات الواقع الاجتماعي وتحدياته .

(٥) ان المشكلات الاقتصادية التي تعانيها الأســـرة العراقيـــة نتيجـــة الحصـــار المفروض والعدوان الثلاثيني أثر في طبيعة الحياة الاجتماعيـــة والزوجيـــة والتربوية عند بعض الاسر العراقية . وهذه الظروف التي تعيش في ظلهـــا المرأة تُحملها مخاطر التغيرات الاجتماعية في حياتها ومن ثم يتأثر بناؤها

ووحداتها الاسرية . فقد يكون الإنفصال أو الهجر أو الطلاق ، مما ينعكس على مستوى الأبناء والمجتمع بشكل عام .

(٦) ان انعكاسات تحديات الواقع الاجتماعي للمجتمع العراقي قد تركت بصماتها على كل مظاهر حياتنا . فالمرأة في مرحلة التحديات انشغلت بمسؤولياتها المتعددة وما استحدث في حياتها من امور جديدة ، فأهملت في بعض الأحيان حتى مظهرها بسبب صعوبات الوضع الاقتصادي وابتعدت عن مواصلة علاقاتها الاجتماعية والقرابية ، وواجهت مشكلات تربوية وسلوكية وتعليمية ، ابتعد الأبناء عن طاعة الأوامر والارشادات أو نشوء ظواهر سلبية وحالات مرضية وصعوبات كانت عائقا أمام الدور التربوي للمرأة .

(٧) ان المشكلة الاقتصادية تعد من ابرز الصعوبات التي انعكست على المهام الاجتماعية والصحية والتربوية للمرأة العراقية في مدة الحصار، مما انعكس على امن واستقرار الحياة الاسرية والصحية بشكل خاص.

(٨) ان كل فرد من الاسرة العراقية كانت له استجابة معينة في مواجهة تحديات العدوان والحصار وذلك انه بالرغم من وجود أنماط مختلفة من المشكلات والصعوبات الحياتية التي عانت منها الاسرة العراقية والمرأة بشكل خاص فكان لتظافر الجهود واستخدام اسلوب الاكتفاء الذاتي والعمل بما هو متوفر من مستلزمات وضرورات الحياة المعيشية والتجاوز عن توفير الحاجات الثانوية أو الاقتصاد في النفقات وترشيد الاستهلاك وتحقيق الموازنة بين المصروفات والنفقات والامكانات المادية ، هذه الجوانب من الاستجابة تعبر عن حرص المواطن العراقي في حماية هويته الشخصية والوطنية ومكانته الاجتماعية وحماية المجتمع من مخاطر التحديات .

ومن منطلق التحليل العلمي الذي جاء به أرنولد توينبي بأن لكل تحدي استجابة تقترن بنمط التحدي ، نلاحظ بعد تحديدنا لمؤشرات التحديات الاجتماعية

وخطورة أهدافها وابعاد تأثيراتها في الحياة الاسرية ، ان الاستجابات تكون متباينة لتباين مجالات التحديات وسبل التفاعل والتصدي لها ، وتكون المجابهة بمستوى تلك التحديات ، لذا كان النضال والصبر والتضحية والعطاء الدائم والروح التضامنية خطوات أساسية للوقوف أمام التحديات .

ان هذا نهج العراق منذ فجر التاريخ في أن يمثل قاعدة ثورية لمجابهة التحديات المفروضة والمخططات العدوانية الهادفة الى النيل من حضارته وخبراته ووحدة أهدافه ومبادئه [٦] .

وعند توضيح الدور المباشر للمرأة في مجابهة تحديات العدوان والحصار نرى انها تعايشت مع مرحلة الحصار ومتطلبات هذه المرحلة وما أحدثته من تغيرات في جوانب الحياة الاقتصادية والصحية والتربوية . حيث أدركت خطورة النوايا العدوانية وهدفها في تحطيم مقومات البناء الاجتماعي بما في ذلك الروابط والعلاقات بين ابناء الاسرة والمجتمع . فقد سعت المرأة العراقية الى حماية حياتها الاسرية بتحملها كل تغيرات وتبعيات هذه التغيرات على حياتها السوية التي كانت تحياها قبل مرحلة الحصار والعدوان .

ان المرأة العراقية واجهت مخاطر التهديدات العدوانية بالاستجابة العقلانية ، حيث تعاملت مع ضغوط التحديات وتعقيدات الحاجة والقلق والتوتر ومواجهة المشكلات الحياتية بطرائق متعددة ، ذلك أما بإيجاد أعمال إضافية لتوفير قدر أكبر من الدخل أو استخدامها أسلوب التدبير أو بيع جزء من مواد ومقتنيات الأسرة الزائدة عن الضرورة أو استحداث بعض الأنشطة الإنتاجية داخل الأسرة[٧] . هذه مؤشرات واقعية تعاملت معها المرأة العراقية واستجابت بشكل ايجابي لكل ضغوط المخططات العدوانية .

المبحث الثالث

دور المرأة في تحدي ومواجهة ثقافة العولمة

العولمة مظهر من مظاهر تحديات المرحلة الراهنة . وعدّها غزو ثقافي يخطط له النظام الأمريكي . لذلك يطلق على العولمة بانها (أمركة العالم) أي ان هدف العولمة فيما يخص الثقافة في هذا المبحث إعطاء الثقافة طابعا عالميا بالرغم من وجود الفوارق المتباينة والمختلفة بين المجتمعات العربية والأجنبية ، ذلك لكل مجتمع له خصوصية التي تحدد عناصر الثقافة التي لا يمكن تجاوزها أو استبدال مقومات وعناصر ثقافية غربية عن واقع المجتمع العربي . فهوية المجتمع لا يمكن أن تتطابق بين المجتمعات اذا اختلفت العناصر الثقافية فيه . فالغزو الثقافي للعولمة هو مفهوم يمكن أن يعطي جانب من الأهداف العدوانية المخطط الى تنفيذها في واقع المجتمع العربي . هذا الغزو له قنواته الفكرية التي تهيمن وتسيطر على جوانب مختلفة من الحياة وتؤثر في أنماط وسلوكيات الفكر والعقل والوجدان ، بل تؤثر في أسلوب التعامل والتحاور مع الآخرين . وهنا تحقق العولمة التبعية الفكرية والتحدي الحضاري بفرض الغزو الثقافي من خلال اساليبها وأنظمتها العالمية . فالقنوات الفضائية والوسائل الاعلامية والتلفاز والانترنيت وسائل تستثمرها العولمة وتمارس التأثير من خلالها في القيم والاتجاهات السلوكية والعلاقات الاجتماعية وتراث الامة العربية بشكل عام . ويمكننا أن نتلمس الآثار التي تتركها العولمة في الواقع الاجتماعي. فعند تحديدنا لقنوات العولمة وأهدافها نرى انها تتجه نحو استلاب الذهن والفكر (إن صحَّ القول) من خلال قنواتها وبرامجها ، فتوجه فئات اجتماعية مختلفة حصرا الشباب الى متابعة كل ما هو جديد في التلفاز أو المجلات أو القنوات الفضائية التي مازالت نوعا ما بعيدة عن التجرد من القيم ، فتارة نرى فيها المعلومات التي تستقطب ذهن المهتمين بالتقدم العلمي وطفرة اخرى نرى الصور

المرفوضة ذات الحرية المطلقة التي تشخص حقيقة واقع ما تعيشه المجتمعات الغربية .

ان العولمة مظهر ليس بجديد على واقع المجتمع العربي ، فدعاة العولمة هم القوى الاستعمارية الأمريكية التي تمارس ضغوط الغزو الثقافي والتحدي الحضاري من خلال أساليبها الظاهرة والمبطنة ، وهي بهذا تستهدف الانسان وهويته ووجوده ونشاطه الفكري والاجتماعي وتحجم من تنمية المجتمع بوسائل غريبة ، وتعمل على إشاعة أدواتها المتطورة التقنية والتكنولوجية لتستغل العقل البشري ضد المصالح العربية .

لقد أسمينا العولمة في هذا المبحث بالغزو الثقافي منطلقين من هدفين :

الأول – ان ثقافة العولمة تكشف عن العالم الغربي الأمريكي ومخططاته المضللة بغطاء التقدم . وهذا يمثل الاطار العام لماهية العولمة .

الثاني – ان ثقافة العولمة تسعى الى الغزو الثقافي والفكري الذي يمثل شكل من أشكال التحديات الاجتماعية والحضارية لتؤثر في قيمنا ولغتنا وعاداتنا وأنظمتنا الاجتماعية . ان هذا يمثل الاطار الخاص الذي يستهدف أنظمة المجتمع . ومن أهم الأنظمة والأكثر تأثرا بثقافة العولمة النظام الاسري. فالمرأة تُشكل ركنا مهما من أركان بنائه ، وسيكون التركيز على وظيفة المرأة في مجالين يمثلان حقائق اساسية في ستراتيجية ثقافة العولمة للتأثير سلبا من خلالهما على الجانب الاجتماعي الذي يمثل الانسان أداة وهدف في المخطط الاستعماري .

المجال الأول – نؤكد فيه دور المرأة العراقية في تنشئة الأبناء والتصدي لمخاطر وسلبيات العولمة .

المجال الثاني – نؤكد فيه دور المرأة العراقية في الحفاظ على التماسك الاسري من خطر ثقافة العولمة . ويمكننا ألآن تحليل هذين المجالين .

المجال الأول : دور المرأة العراقية في تنشئة الأبناء والتصدي لمخاطر وسلبيات العولمة .

نحن أمام حقيقة وواقعة بين ما تؤديه المرأة العراقية في التنشئة الاجتماعية والسياسية والقيمية والدينية وبين التصدي لمخاطر وسلبيات العولمة الهادفة الى التأثير السلبي في هذه المجالات الاجتماعية الحياتية والمستقبلية .

ان أهم حقيقة إنسانية واجبة على المرأة اعترافا بوجودها وكيانها الفسيولوجي وغريزة الأمومة التي منحها الله سبحانه وتعالى أدائها لدورها الوظيفي بعد عملية الإنجاب . هذا الدور المتمثل بتنشئة الأبناء ورعايتهم وحمايتهم من المخاطر التي تهددهم . فالمرأة الأم ، والزوجة ، والأخت ، والبنت، تتمتع بحقيقة أن تكون (المنجبة والمربية) فتنشئة الأبناء تبدأ مع لحظة ولادتهم وتستمر مع دوام وجودهم في الحياة . وهذه عملية ليست ثابتة وإنما ترتبط بحركة وتحديات العصر وبفاعلية الدور الوظيفي ، فهي عملية بنائية يكتسب الأبناء من خلالها ثقافة مجتمعهم والقيم التي توجه سلوكهم وعلاقاتهم واساليب تعاملهم مع الآخرين ، كما انها تكسبهم الشخصية الاجتماعية التي تعكس ثقافة المجتمع الذي ولدوا فيه .

ان حصر عملية التنشئة الاجتماعية بهذه المفاهيم تشير الى سلسلة الأدوار الوظيفية التي تؤديها المرأة في حياة ابنائها . فتنشئة الأبناء تقترن بثقافة مجتمعهم والخروج عن ثقافة المجتمع يعني وجود خلل في الوظيفة التنشئية ، لذا فان الاسرة العراقية ، والمرأة بشكل خاص ، تهتم بتنشئة الأبناء التنشئة الاجتماعية والقيمية والتربوية وفق ضوابط المجتمع والمعايير الثقافية التي تمثل ثوابت وركائز المجتمع .

ان استدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية هي عملية اجتماعية نفسية [٧] ، ترتبط بأحداث المجتمع وتتأثر بمتغيراته وما تواجهه الحياة الاجتماعية من مشكلات وصعوبات . فالعولمة ظاهرة تحدي ثقافي وحضاري

جديد تواجهها المرأة تؤثر في التنشئة الاجتماعية من خلال خلق قيم واتجاهات جديدة تخالف المعايير الاجتماعية والثقافية التي نشأ عليها الأبناء . هذا التحدي يمثل أمام الاسرة والمرأة دورا اضافيا تعده مشكلة لا بد من تحصين الأبناء من مخاطرها وسلبياتها .

ان المرأة العراقية من خلال عملية تنشئة الأبناء تنقل ثقافة المجتمع العربي والإسلامي في أساليبها التربوية التي تتعامل بها مع أبنائها لبناء شخصيتهم وتوجيه سلوكهم وأعدادهم لمواجهة الحياة الاجتماعية مستقبلا بكل متغيراتها وتحدياتها . فالمتابعة اليومية لتصرفات الأبناء وحثهم على الالتزام بالسلوكيات الصحيحة التي يقرها المجتمع ، والابتعاد عن المفاهيم والمواقف الخاطئة التي يرفضها المجتمع ، ذلك يهيئهم لمواجهة مخاطر العولمة التي تتناقض مفاهيمها وقيمها مع ثقافة المجتمع العربي . فالمرأة العراقية التي واجهت مخاطر العدوان والحصار لا تبتعد عن المعايير الاجتماعية للثقافة العربية الإسلامية في رعاية أبنائها وتهيئتهم نفسيا وسلوكيا وقيميا لتحدي سلبيات برامج العولمة . فالأسرة العراقية عندما تجتمع لمشاهدة البرامج الفضائية والتلفزيون نراها ترفض الصور والأفلام والمواقف التي لا تتفق وقيمنا العربية ، وتعلم الأبناء وتلقنهم درسا في الأخلاق والتربية الدينية ، وما هو خطأ وصواب. فان ثقافتنا لها خصوصيتها التي لا تتفق مع حرية الثقافة الغربية التي تريد أمريكا توحيد العالم نحوها . فعولمة الثقافة لها آثارها السلبية التي تهدد بناء الشخصية وتلغي مقوماتها الأساسية . كذلك تخلق نمطا عالميا متشابها في كل مجالات المعرفة . وهذا الأمر يتطلب مواجهته ، لأن التأثير في كل ما في المجتمع من معارف ومعتقدات وتقاليد وأخلاق وأفكار ومعلومات يتلقاها الفرد يهدد مستقبل الإنسان والثقافة العربية بشكل خاص في إطار ثورة المعلومات التي تواجهها ، أو ما يطلق عليها هجوم العولمة [٧] . فالدور الاجتماعي لتنشئة الأبناء يكون في توجيه وعيهم وسلوكهم وتوحيدهم في إطار الجماعة والمجتمع ذلك يحميهم من مخاطر العولمة .

يبقى دور المرأة فاعلا في حفظ خصوصيات الثقافة وموجهات الثقافة التي تمثل المجموعة الأخلاقية والأدبية التي تقوم بتصفية وتنقية ادراكات الفرد وأفكاره وأفعاله لتكون منسجمة مع الأنماط السلوكية المألوفة والمقبولة اجتماعيا وثقافيا ، وتغذيته بما هو مسموح ومقبول ومرفوض . فهي إذن بهذه الكيفية تقوم بتقويم السلوك اليومي للفرد [٨] . وبهذا يكون لدور التنشئة الاجتماعية التي تؤديها المرأة في تربية وتعليم أبنائها والالتزام بضوابط مجتمعهم وقيمهم الثقافية قيمة اجتماعية وأخلاقية يتجسد فعلها الوظيفي في تهيئة الأبناء لمواجهة المواقف والأحداث التي يتعرضون لها في حياتهم ، وما يتطلبه المجتمع منهم لمواجهة التحديات التي يتعرضون لها .

المجال الثاني : دور المرأة في الحفاظ على التماسك الاسري

ان النسق القيمي في الحياة الاجتماعية يمثل عاملا مهما في تحقيق الاستقرار الاسري وفي توجيه سلوكيات الأبناء ونشاطاتهم وعلاقاتهم بل واشباع حاجاتهم ودوافعهم الذاتية والاجتماعية . الا ان التغير الذي يحصل في هذا المجال يسبب مشكلات اسرية قد تصل الى تهديد التماسك الاجتماعي . فالعولمة كمخطط أمريكي – صهيوني يهدف الى تدمير البنى الاجتماعية من خلال استهداف النسق القيمي ، أي استهداف الدين واللغة العربية والأخلاق والعادات والمفاهيم التربوية التي ينشأ عليها الأبناء .

فدور المرأة العراقية في الحفاظ على تماسكها الأسري يرتبط بدورها الاجتماعي التربوي تجاه مجتمعها . فالتحديات التي يواجهها المجتمع تكون المرأة جزءاً منها وتكون وظيفتها مواجهة مخاطر تلك التحديات وبشكل خاص ما يتعلق بثقافة وعناصر المجتمع ، فثقافة العولمة خطر يهدد عناصر ثقافتنا العربية وعلاقاتنا الاسرية ، فخلق التناقضات داخل الاسرة الواحدة بين المعارض ومؤيد ، وبين قبول الحديث في المفاهيم التي تنقلها أنظمة الثقافة وبين التمسك

بأصالة القديم ، يؤدي الى وجود الخلافات الاسرية التي لا بد من التصدي لها ، وهذا هدف استعماري يرمي الى تدمير ركائز ومقومات الحياة الاسرية .

لقد توصلت أحدث الدراسات العراقية عن العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي الى ان التماسك المجتمعي في الوطن العربي بدأ بتصدع سواء كان ذلك بسبب التدخل المباشر للغرب في سياسات بعض الأقطار العربية ، وعن طريق تأثير آليات العولمة ومؤسساتها الدولية التي تدخلت في الشؤون الاقتصادية والسياسية والثقافية ، كذلك أثرت في الشباب الذين لا يجدون العمل ، او لا يجدون الديمقراطية والحرية فيدفعهم ذلك الى الانسياق وراء التيار الغربي المزيف الذي يخفي وراءه رواسب غير منظورة تستهدف المجتمع والامة العربية [٩] .

هذه صورة عن تأثير العولمة باطارها الاجتماعي والمجتمعي العام وسلبيات هذا التأثير واضحة . وفي مجال تأثير العولمة على التماسك الأسري تظهر سلبيات التأثير عند الأسر التي تفتقد الوحدة والتآلف بين أفرادها ، ذلك ان هذه الأسرة تبتعد عن متابعة سلوكيات الأبناء أو توجيههم بشكل سليم نحو التحدي الفكري والثقافي والاجتماعي والاقتصادي الذي يحمل معاني العولمة . أما الأسرة ذات الروابط المتماسكة والمستوى الثقافي الذي يدرك خطورة التحديات وتستوعب أبعادها في الحياة الاجتماعية والأسرية تهتم بتوعية وتوجيه أبنائها نحو مخاطر ما تأتي به ، أو تتركه العولمة في البناء الاسري والاجتماعي.

ان تطلعات الأبناء نحو برامج البث الفضائي والانترنيت والتكنولوجيا المتقدمة يثير عندهم طموحات يرغبون بتحقيقها أو الوصول الى تحقيقها ، ومع محدودية توفير مستلزمات الطموحات ، يلجأ الأبناء الى اتباع سلوكيات منحرفة من أجل الوصول الى دوافعهم الذاتية ، فلكل انحراف أسبابه التي لا تخرج عن كونها أسباب اجتماعية ، ولما كان الفرد ذا علاقة وثيقة بما يحيط المجتمع من

تغيرات أو تطورات أو تحديات ، فان التخطيط الستراتيجي للعقل العربي يرصد الفرد (الإنسان) من خلال برامج البث الفضائي التي تتسم بتنوعها واستمرارية بثها على مدار ساعات اليوم وبكفايتها العالية مع محدودية البرامج المحلية المنافسة لها ، وعدم أهلية المشاهد على تحليل أغراض وأهداف ومضمون هذه البرامج ، إذ شخصنا فيها السلبيات المتطورة في الواقع الحالي والمنتظرة في المستقبل القريب تشير الى القنوات التلفزيونية العالمية التي تستخدم الآن بِدار بعضها بهدف الربح وتعتمد على التمويل الذاتي ، وهذا ما يثير القلق لكونها ذات طابع تجاري رخيص ومفسد للذوق والأخلاق ، وغير مناسب لقيم مجتمعنا ، مما تحدث التخلخل القيمي والشعور بالاحباط . كما ان البعض من هذه البرامج تُستغل فتحول الى برامج ذات أهداف سياسية أو اجتماعية أو ثقافية غير مناسبة لنا ، وربما لا تستطيع مقاومتها . ومن أخطر ما تنطوي عليه برامج هذه العولمة انها توفر حرية سائبة الاستخدام ، حرية غير منضبطة أو فوضوية [١٠] ، فتصبح هذه الثقافة مصدر قلق وعدم أمان على أبناء المجتمع العربي .

المبحث الرابع

محاولة علمية لمعالجة الآثار السلبية لثقافة العولمة والعدوان والحصار المفروض على قطرنا العراقي المجاهد

الاستعانة بالرؤية العلمية والاختصاصات ذات الصلة المباشرة للتعايش مع الواقع الاجتماعي وأقربها العلوم الاجتماعية بشكل عام ، وعلم الاجتماع السياسي بشكل خاص ، لدراسة وتحليل الآثار الاجتماعية والنفسية التي تترتب على ثقافة العولمة والعدوان والحصار المفروض على قطرنا العراقي المجاهد ، تمثل ضرورة لا غنى عنها في تحديد المعالجات ليسلم مجتمعنا وأبناؤنا من مخاطر التحديات الراهنة ، علما ان ابناء المجتمع العراقي على اختلاف فئاته العمرية والثقافية واجه اخطر أشكال التحديات العدوانية التي خطط لها الاستعمار الصهيوني – الأمريكي في شن الحرب الثلاثينية .

أما الربط بين الحرب والعولمة فهو الهدف الأساس في ستراتيجية التخطيط للنيل والهيمنة والسيطرة على عقول واتجاهات ومشاعر الانسان ، لأنه هدف المخطط العدواني . فنظريات العلوم الاجتماعية بشكل عام كنظرية التبادل والتفاعل والأدوار والتعلم والنظرية البنائية الوظيفية ، على الرغم من اختلاف جنسيات منظريها ، إلا انها ترتبط بالواقع الاجتماعي تأخذ منها ما يشير الى علمية التعامل مع متغيرات الواقع ويمكن تحديد المعالجات الخاصة بسلبيات العولمة والحرب والحصار بالاستناد الى علمية هذه النظريات وعلى الشكل الآتي:

(١) في نظرية التعلم الاجتماعي تبرز أهمية تعليم الأبناء الأنماط السلوكية التي يرتقيها المجتمع . فالوقوف ضد التحديات ومخاطرها على النواحي الأخلاقية والسلوكية والدينية والتعليمية يعتمد على مبادىء التربية الصحيحة . فتوجيه الاسرة ومؤسسات المجتمع والمرأة بشكل خاص من

خلال وظيفتها التنشئية أن تستوعب مخاطر هذه المرحلة المخطط لها عدوانيا .

(٢) في نظرية التبادل الاجتماعي تجمع الوظائف المتبادلة بين الاسرة والمجتمع . فالمرأة في هذه النظرية لها حقوق وواجبات تؤديها تجاه الحفاظ على بنائها الاسري وأدائها لواجباتها الاجتماعية والتربوية تجاه ابنائها ومجتمعها . فالدور الاضافي للمرأة يمثل حق الأبناء والمجتمع وواجبهما ، فحماية المجتمع يكون في تنشئة الأبناء التنشئة السياسية والقيمية والدينية والاجتماعية بشكل عام . ورفده بالعناصر الفعالة التي تحميه من مخاطر العدوان والعولمة . فالبناء الثقافي والفكري الذي يرتبط بثقافة المجتمع ، وتأكيد مقوماتها الأساسية في حياة الأبناء والالتزام بهذه المقومات تمثل الحصن المنيع لتجنب الأبناء ثقافة الغرب التي تحمل مخاطر وسلبيات سلوكية وأخلاقية .

(٣) في النظرية البنائية والوظيفية ينظر للاسرة كوحدة اجتماعية متماسكة ومتكاملة بوجود التضامن بين أعضائها . فرصد مخاطر وتحديات المجتمع ومنها قنوات ثقافة العولمة (البرامج الثقافية والانترنيت والتقدم التكنولوجي بمؤثراته السلبية) يكون من خلال الحفاظ على الوحدة الاسرية المتماسكة وحماية الأبناء من موجة المخططات المستمرة على المجتمع العربي . فدعم خصوصية وهوية ثقافة المجتمع العربي وتحمل مؤسسات المجتمع عامة هذه المسؤولية التربوية الوطنية ، وحث الأبناء على قيم العلم والتعلم والثقافة والشعور بقيمة الحياة ورصد مخاطر السلوكيات المنحرفة والاستثمار الأمثل لامكانيات وقدرات الشباب بشكل خاص ، يمثل الرد الصحيح على تحديات العولمة .

(٤) نظرية الدور الاجتماعي تؤكد من خلالها دور المرأة في البناء الفكري والقيمي والثقافي ، ذلك الدور الذي يرتبط بأدوار الآخرين ، وتكامل هذه الأدوار التي تقوم بها المرأة في حياتها اليومية تحملها مسؤولية تنشئة

الأبناء بشكل يحسسهم أو يشعرهم بولائهم الاجتماعي والمهني والسياسي . هذا الولاء يحافظ على سلامة الاسرة والمجتمع من ابعاد المخطط الامريكي . وتواصلا مع نظرية الدور فان الاسرة والمرأة العراقية أدت دورها الوطني والاجتماعي طوال مدة الحصار ، فجهادها كان السلاح الفعال في الصبر أمام الحاجة الاقتصادية والفقر والجوع والمرض ، وكل مخلفات العدوان والحصار معا .

(٥) ان العمل الاجتماعي لعلم الاجتماع التطبيقي المعاصر الذي يعتمد على النظريات الاجتماعية يكون له الدور المميز والمهم في دراسة جوانب الخلل ومشكلات الانسان والمجتمع عن طريق وضع البرامج والخطط العلمية بالاعتماد على منهجية يعدها علم الاجتماع لدراسة العولمة ، دراسة واقعية استنتاجية واستطلاعية ميدانية لاستقراء أبعاد الأهداف الأمريكية في ثقافة العولمة ، وما تواجهه المرأة والاسرة العراقية من مشكلات تؤثر في أداء وظائفها الاسرية والمجتمعية . كذلك يمكن أن نؤكد في هذا المجال الى ان علم الاجتماع يسهم من خلال بنائه النظري والمعرفي دراسة كل ما يتعلق بالمجتمع وحل مشكلاته ، ووضع المعالجات والاصلاحات التي تمثل الهدف الأساس للعلم الاجتماعي النظري والتطبيقي[١١] .

(٦) أخيرا نوصي المرأة من خلال علم اجتماع المرأة والنظريات الاجتماعية في محاولتنا العلمية لمعالجة الآثار السلبية للعولمة ، بعد أن تجاوزت مشكلات العدوان وتكيفت للحصار الاقتصادي ، أن تؤدي دورها التربوي والتنشيئي في المرحلة الراهنة ، مرحلة ثقافة العولمة ، في توجيه الأبناء وتأكيد المفاهيم الاجتماعية التي يقرها المجتمع العربي الإسلامي من دون تقليد وتقمص ثقافة الغرب التي تهدف الى تحطيم معالم الثقافة والحضارة العربية باستغلال فكر الإنسان وعواطفه وتوجه نحو تطلعات حرية ثقافة المجتمعات الغربية .

الهوامـــش :

١. شومان ، نعيمة (الدكتورة) ، العولمة في التكنولوجيا الحديثـــة ، الفكـــر السياسي ، دمشق ، فصلية ، اتحاد الكتاب العرب ، العـــدد (١) ، ١٩٩٧ ، ص ٧١ .

٢. ناصر . ابراهيم (الدكتور) ، علم الاجتماع التربوي ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت . ١٩٩٢ ، ص ٢٦ - ٢٧ .

٣. الجابري ، محمد عابد (الدكتور) ورقة قدمها الى ندوة العرب والعولمـــة التي أقامها مركز دراسات الوحدة العربية نشرت له مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٨ ، ١٩٩٨ ، ص ١٤ .

٤. الطبيب . مولود زايد (الدكتور) العولمة والتماسك المجتمعي في الـــوطن العربي . اطروحة دكتوراه آداب في علم الاجتماع ، غير منشورة ، جامعة بغداد - ٢٠٠١ م ، ص ١٨ - ١٩ .

٥. ثابت ، ناصر (الدكتور) التحدي الاجتماعي واحد من التحديات الحضارية والغزو الثقافي في دول الخليج العربي ، ندوة التحديات الحضـــارية لـــدول الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٩٨٥ ، ص ٣٣٧ .

٦. حسن ، حسن محمد ، في مجابهة التحديات ، منشورات الثـــورة ، مطـــابع دار الثورة في بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٨٧ - ٨٩ .

٧. حمزة ، كريم محمد (الدكتور) ، الأبعاد الاجتماعيـــة لأم المعـــارك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٧ ، ص ٣١ .

٨. زهران ، حامد عبد السلام (الدكتور) علم النفس الاجتماعي ، ط ٤ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ن ص ٢١٣ .

٩. الرميحي ، محمد (الدكتور) الثقافة ذلك السهل الممتنع ، مجلة العربي ، العدد ٤٨٢ ، يناير ١٩٩٩ ، ص ٢٦ .

١٠. عمر ، معن خليل (الدكتور) علم اجتماع الاسرة ، عمان ، دار الشروق ، ٢٠٠٠ ، ص ١٠١ .

١١. الطيب ، مولود زايد ، العولمة والتماسك المجتمعي ، مصدر سابق ، ص ٢٣٩ .

١٢. عبود ، طالب مهدي (الدكتور) ، المجتمع العربي بمواجهة ستراتيجيات أنظمة العولمة ، من بحوث المؤتمر الوطني الأول لعلم الاجتماع في جامعة الموصل ، ٢٠٠١م ص ١٨٩ – ١٩٢ .

١٣. القصيري ، انعام جلال (الدكتورة) ، الأهمية النظرية والتطبيقية لعلم الاجتماع المعاصر ، بحوث المؤتمر الوطني الأول لعلم الاجتماع ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١ ، ص ١٧٥ .

المصـــادر :

(١) ثابت ، ناصر (الدكتور) التحـدي الاجتمـاعي واحـد مـن التحـديات الحضارية والغزو الثقافي في دول الخلـيج العربـي ، نـدوة التحـديات الحضارية لدول الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لـدول الخلـيج ، ١٩٨٥.

(٢) الجابري ، محمد عايد (الدكتور) ورقة قدمها الى ندوة العرب والعولمة التي أقامها مركز دراسات الوحدة العربية نشرت له في مجلة المسـتقبل العربي ، العدد ٢٢٨ ، ١٩٩٨ .

(٣) حسن ، حسن محمد ، في مجابهة التحديات ، منشورات الثورة ، مطـابع دار الثورة في بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٨٧ – ٨٩ .

(٤) حمزة ، كريم محمد (الدكتور) ، الأبعاد الاجتماعية لأم المعـارك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٧ ، ص ٣١ .

(٥) الرميحي ، محمد (الدكتور) الثقافة ذلك السهل الممتنع ، مجلة العربي ، العدد ٤٨٢ ، يناير ، ١٩٩٩ .

(٦) زهران ، حامد عبد السلام (الدكتور) علم النفس الاجتمـاعي ، ط ٤ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧.

(٧) شومان ، نعيمة (الدكتورة) ، العولمة في التكنولوجيا الحديثة ، الفكـر السياسي ، دمشق ، فصلية ، اتحاد الكتاب العرب ، العدد (١) ، ١٩٩٧ ، ص ٧١ .

(٨) الطبيب ، مولود زايد (الدكتور) العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي ، اطروحة دكتوراه آداب في علم الاجتمـاع ، غيـر منشـورة ، جامعة بغداد – ٢—١ م .

(٩) عبود ، طالب مهدي (الدكتور) ، المجتمع العربي بمواجهة ستراتيجيات أنظمة العولمة ، من بحوث المؤتمر الوطني الأول لعلم الاجتماع في جامعة الموصل ، ٢٠٠١م .

(١٠) عمر ، معن خليل (الدكتور) ، علم اجتماع الاسرة ، عمان ، دار الشروق ، ٢٠٠٠ .

(١١) القصيري ، انعام جلال (الدكتورة) ، الأهمية النظرية والتطبيقية لعلم الاجتماع المعاصر ، بحوث المؤتمر الوطني الأول لعلم الاجتماع ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١ .

(١٢) ناصر ، ابراهيم (الدكتور) ، علم الاجتماع التربوي ، ط ١ ، دار الجيل، بيروت ، ١٩٩٢.